

وفي صباح اليوم التالي، قالت لى أمى فجأة ونحن على الطعام: «هل أنت بنت؟» فصحت مستغربا منكرا: «بنت؟» فقالت: «نعم، لماذا تلاعب البنات ولا تلاعب الأولاد من أمثالك؟»

فأطرقت استحياء وقد أدركت أنها تأخذ على شيئا وتستهن مصاحبتي لهذه الفتاة، ولم يخطر على بالى أن فى الأمر أكثر من هذا. وحان الظهر وجاء معه رجل تركى الأصل عتيق من أصدقاء أخى الأكبر — وكان يلزمه من الظهر إلى نصف الليل — وكان شعره أبيض ووجهه مغضنا، كما تبدو المدينة للمشرف عليها من قمة جبل شامخ، فصاح بى وأنا خارج: «تعال يا سيدى ... تعال». فوقفت مستغربا لهجته، وقلت: «نعم». فقال: «جارتك هذه، يظهر أنها تعجبك».

فغضبت وتأملت ولكنى تجلّدت، فقد كان إذا اعتبرنا السن يعد جدّا أعلى لى، وقلت: «نعم».

فضحك وتفل وفتل شاربيه الكثيفين، ثم قال: «لقد رأيتك البارحة تحضنها». فصحت به: «إيه؟ فأشار إلى بيده المتجددة المعروقة: «لا تغضب.. كلنا كنا صغارا.. ولكن يا ابنى...».

فلم أدعه يتمها وانصرفت عنه، وأنا أغلى من الغيظ والنقمة على هذا الطفيلي الوقح الذى لا شك أنه روى لأخى ما رأى منى، فلم يسع أخى إلا أن ينبه أمى.. فقد كان غير شفيق، وكان يؤثر أن يدع أمر تربيته لأمى.

وخرجت إلى الشارع أنفخ ولا أكلم أحدا حتى ولا صديقى الأثير، وكان يرى ما عرانى فيلح على أن أفضى إليه بالأمر فلا أجد لسانى قادرا على الدوران. وانقطعت عن الفتاة أياما كان صديقى فى خلالها حائرا بينى وبين صاحبتة، يعز عليه ألا يكون إلى جانبى وهو يرانى مهموما مكروبا لا أتسلى ولا أقول بشجوى وألمى، ويكون معى فيمل صمتى الذى لا أخرج عنه، وتصبو نفسه إلى مجالسة السقاء وأخيرا نفذ صبره، فقال لى يوما: «اسمع.. تعال معى إلى فوق».

وكان يعنى «بفوق» منزل الجارة، فنظرت إليه مستغربا كأنما كان عليه أن يعرف كل ما كتمت عنه فقال: «تعال.. قم.. قم».

فانحلت العقدة وانطلق لسانى، وقلت له: «ماذا يعجبك فى هذه الفتاة؟ فتلعثم وأخذ يتنحج، ولم يزد على أن سأل: «إيه؟ قلت: «أو ماذا يعجبها فيك؟»